البـــركـــــة

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزيز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

البـــركـــــة

الحمد لله ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً يأمن من قالها وعمل بمقتضاها يوم الفزع الأكبر، ما أودعها صدرٌ إلَّا استقر وانشرح، ولا أُشرِبُها قلبٌ إلَّا اطمأن وانفسح، ولا قُذِفَ بها على باطلٍ إلا زهق وتزحزح، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله الذي انتقاه من أطهر سلالة، واصطفاه للبلاغ والرسالة، وأيَّده بالحِجَجِ البُلْجِ، وخصَّه بالنصر المؤزَّرِ والفُلُجِ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، وعلى من تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلَّمَ تَسليمًا مزيدًا.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله يا عباد الله! واعلموا أن التقوى هي وصية الله للأولين والآخرين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

عباد الله! إنَّ البركة معناها النماء والزيادة والبركة، كلٌّ يسعى إليها، وكلٌّ يتمنى التَّلبُّسَ بها؛ ذلك أن البركة من الله رب العالمين، ما دخلتْ في قليلٍ إلا كثَّرَته، ولا في شيءٍ إلا نمَّتْه، وما عاش أصحاب البركة إلا في سعادةٍ وهناء، ولأجل هذا أنزل الله ﷻ كتابه، وجعله مُبَاركًا، وبعثَ نبيَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وجعله مباركًا، وما اتبع عبدٌ كتابَ الله ﷻ وسنةَ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلَّا

كان من المباركين بإذن الله رب العالمين، وإن كثيرًا من الناس يعيشون حياةً ماديَّة مُترفة، ومع ذلك تجدهم بعيدين عن البركة، لا بركةَ في حياتهم ولا في أعمالهم ولا في أموالهم ولا في أزواجهم، ولا في وظائفهم، ولا في مساكنهم، قد انْتُزِعَتِ البركةُ منهم، نسأل الله العافية والسلامة.

من الناس من يعيش في قصر مَنيف، ومع ذلك يشعر كأنه أضيق من سَمِّ الخِياط، ومن الناس من يحصل على مرتبٍ ممتازٍ وجيدٍ، ومع ذلك تفرُّ منه الدراهم فَرَّ الشياطين، ويلاحقه الغُرماءُ ذات اليمين وذات الشمال، فلا يجد بركةً في ماله، ولا في مُرتَّبه، ومن الناس من رُزق بزوجةٍ جميلةٍ صالحة، ومع ذلك يعيش جحيمًا، ومن النساء من تعيش مع زوجٍ صالحٍ، وأبٍ مثالي؛ ومع ذلك تعيش تعاسةً لا حدود لها.

ومن الناس من رُزق بأولادٍ ولكنهم خرجوا عاقِّين مُتمردين، مُتمردين على الأخلاق والقِيَم، مُتمردين على الدِّين والمبادئ، فلا يجد فيهم بركة، ولا يُحصِّل منهم خيرًا، ومن الناس من رُزق عِلمًا، ورزق فهمًا، وحصَّلَ خيرًا كثيرًا من هذا العلم، ولكنَّه لا يعمل بمقتضاه، ولا يعمل بما عَلِمَ، نسأل الله العافية والسلامة، فحالُه: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الجمعة:٥]، لديه علمٌ من دون عمل -نعوذ بالله من ذلك-، كذلك أناسٌ كثيرون لديهم هذه الأسباب المادية، التي من المفترض أن تكون سببًا من أسباب سعادتهم، وسببًا من أسباب هنائهم، ولكنهم يَشْقَوْنَ بهذه الأمور؛ والسبب في ذلك -معشر المؤمنين- انتزاعُ البركة من هذه الأسباب، ومن هذه الأعيان، نسأل الله أن يحلَّ بركته علينا وعليكم أجمعين.

نعم عباد الله! وهذا يدل على أن الأمور ليست بهذه الأسباب المادية، التي يعتقدها كثيرٌ من الناس؛ ولذلك تجد فقيرًا مُعدمًا يفترش الغَبراءَ ويلتحف

السماء ومع ذلك يعيش سعادةً لا حدود لها، ومن الناس من لا يجدُ العظامَ ولا كِسرةَ الطعام ومع ذلك يعيش سعادةً لا حدود لها، ومن الناس من لم يُرزق مثلما رزق صاحب السيارة الفارهة، والقصر المرفوع، والبيت المعمور، ومع ذلك يعيش سعادةً لا مُنتهى لها؛ سبب ذلك حلولُ البركةِ في عمره، وفي نفسه، وفي ماله، وفيما يملُك، إنَّها البركة يا أيها المؤمنون؛ ولذلك ينبغي لنا جميعًا أن نعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّ البركة من الله ﷻ، وأن الله -سبحانه- جعلَ لنيل البركة أسبابًا، ومن ذلك الإيمان والتقوى.

فكلمَّا آمن المرء بالله ﷻ، واتبع نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكلمَّا اتقى الله ﷻ فيما يبديه وفيما يخفيه، واتقى الله ﷻ في جميع أحواله وأموره؛ أنزل الله ﷻ عليه البركة تنزيلًا، يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

نعم عباد الله! إن الإيمان والتقوى سببٌ من أسباب حلول البركة بإذن الله رب العالمين، ومن أسباب البركة ونيلها -أيها المؤمنون- اتباع الكتاب والسُّنة ظاهرًا وباطنًا، فمن اتَّبع كتاب الله ﷻ وأخذ به، واتبع سُنَّةَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واقتضى به؛ فإنَّ الله ﷻ يُنزل عليه البركة تنزيلًا، والبركة أحيانًا -أيها المؤمنون- ليست شيئًا ماديًّا محسوسًا تلمسه بيدك أو تضعه بجيبك؛ إنها انشراح الصدر، إنها طُمأنينة القلب، إنها راحة البال، إنها السعادة التي يجد الإنسان فيها رائحة الجنَّةِ، إنها طُمأنينة، إنه الرِّضا، إنه التيسير في الحياة، هذه هي البركة، صِحةٌ في الأبدان، وسلامةٌ في العقول، وعيشٌ هادئٌ في الأسرة والمجتمع.

ومن أسباب البركة أيها المؤمنون: الصِّدقُ في كل شيء، فمن صَدَقَ مع الله صَدَقَ اللهُ معه، فحينما يكون الإنسان صادقًا تأتيه البركة من بين يديه ومن

خلفه، وتتنزل عليه تنزيلًا؛ لا سيَّما حينما يتعامل الإنسان مع الآخرين بيعًا وشراءً، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْبَيِّعَانِ بالخِيارِ ما لَمْ يَتَفَرَّقا، فإنْ صَدَقا وبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وإنْ كَذَبَا وكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِما**»(١).

من الناس من هو أستاذٌ في الغشِّ والتغرير، فيكسب الأموال عن طريق الكذب، وعن طريق الغشِّ، وعن طريق التغرير، فيأتي في آخر الشهر ولا درهم في جيبه، ويجد نفسه ضيقةً وصدره حرجًا؛ وسبب ذلك أنه كذابٌ في البيع والشراء، غشاشٌ لأُمَّةِ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيمحق الله ﷻ بركةَ هذا البيعِ وذلك الشراء.

عباد الله! إن الصدق في كل شيء سببٌ من أسباب جلب البركة بإذن الله رب العالمين، فإذا رأيت الرجل صادقًا في معاملته فاعلم أنه مباركٌ بإذن الله رب العالمين، وإذا رأيتَ الرجل على خِلاف ذلك فإن الله ﷻ يمحق بركته.

ومن أسبابِ جلبِ البركة يا أُمَّةَ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اكتسابُ الحلالِ، والابتعاد عن الحرام، ولا أخطرَ من كسب الربا -والعياذ بالله-، وهو من أخبث المكاسب، ومن أعظم الآثام، فمن وقع في الرِّبا محقَ الله ﷻ بركة ماله، وأصابته التعاسة، وكان من أهل الشقاء، ومصداقُ ذلك في قول الله ﷻ: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة:٢٧٦]، وجاء في حديثٍ يصح مَوقفًا، ويُختلفُ في إسناده مرفوعًا: «**إنَّ الرِّبا وإن كَثُرَ فإلَى قِلٍّ**»؛ من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره.

نعم عباد الله! والله أني أعرف أناسًا، أعرفهم بأعيانهم وبأسمائهم، وربما كانوا أصدقاء لي في يومٍ من الأيام؛ يتعاملون بالرِّبا ويشتغلون بالرِّبا، ولقد

(١)أخرجه البخاري، برقم (٢٠٧٩)، ومسلم، برقم (١٥٣٢)؛ من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كانت مرتباتهم عالية تُضاهي مرتبات عِليَةِ القوم، وكانوا يشكون الفَقْرَ، ويشكون الدُّيُون المتراكمة، ويشكون الحِيرة، ويشكون القلقَ؛ حتى إن واحدًا كان يقول لي: أرأيتَ قصريَ هذا الكبير؟ قلت: نعم، قال: والله إن وجوديَ خارجه انشرحٌ لصدري من أن أدخله. يقول: كنتُ إذا دخلت قصري هذا يُصيبني الضِّيقُ والهمُّ والحُزنُ، وأُصبحُ وأُمسي على حَرَجٍ وضيق صدرٍ -نسأل الله العافية-. وقد انتقل تائبًا إلى الله ﷻ من هذه الحالة إلى حالة الحلال، وإلى دائرة المباح، وإلى منطقة تقوى الله ﷻ، فنزل الراتبُ إلى النصف، وسُلبت منه السيارة، وكثيرٌ من الامتيازات التي كانت تُعطى له، وكان يخبرني -ورب الكعبة- براحة لا حدود لها، يقول: الآن انشرحَ صدري، وارتاح بالي، واطمأنَّتْ نفسي، وأشعر حينما أَضَعُ اللُّقْمَةَ في فمي أنَّها تسلك بكل هَناءٍ هنيئًا مريئًا، بينما في السابق كنت اتْغَصَّصُ بها؛ لأنَّها من حرامٍ -نسأل الله العافية والسلامة-.

ومن أسباب جلبِ البركة -يا أهل الإسلام-: تيسيرُ الأمور وعدم تعقيدها، خاصةً في البيع والشراء، وخاصة في عدم المغالاة في المهور؛ فإن أكثر النساء بركةً أقلُّهن مَهرًا، بينما المرأة التي تشترط وتُشارط، ووليُّ المرأة الذي يعرضها في سوق الباعة من يدفع أكثرَ يحصل عليها؛ إنما هو يدفع البركةَ بنفسه ويستجلب اللعنة والشُّؤمَ بيده، فبما كسبت أيديكم، فمن النساء من سلبتْ بركة حياتها وعمرها؛ لأنها كانت ترفع رأسها عاليًا، وكانت تطمع في أمورٍ هي من نسج الخيال، أو من وسوسة الشيطان، فتضع المهرَ العالي، وتطلب الطلبات المعجزة، فأصابها الله ﷻ في نفسها، وذهبت بركة عُمرها، وتركها الرجال وحيدةً فريدةً، تضرب كفَّ الحيرة، وتقرع سنَّ الندم، وتمنَّت على أنها خُطِبَتْ على دِرهَمٍ أو درهمين؛ لِتَنَالَ بركةَ العُمرِ، ولتحصلَ على ولدٍ يرفرف في البيت، يُنعش لها حياتها الميتةَ.

وأيضًا؛ من الناس من يكون في قضية البيع والشراء مُعقِّدًا، ويطمع في المزيد من الأرباح، ولا يرضى بالثوم الأول ولا بالثاني، وإنما يطمع بالكثرة، فيُصاب بالحسرة، ويُصاب بردِّ البضاعة، ولو باعها فإن الله ﷻ يمحق بركة هذا البيع، وقد ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الدعوةَ إلى قضية البيع من الثوم الأول، والحذر الحذر من أن يمكث الإنسان ومن أن يبتعدَ بعيدًا عن الأجواء المباحة، وعن الأمور التي أذنَ فيها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ومن أعظم أسباب جلبِ البركة -جعلنا الله وإياكم من المباركين-: الابتعاد عن معصية الله، وكثرة طاعته ﷻ آناء الليل وأطراف النهار.

أقول ما تسمعون، واستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين؛ من كل ذنبٍ وخطيئة، ويفوز المستغفرين، استغفر الله.

===

الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفى، وصلَّى الله وسلَّمَ وبارك على النبي المصطفى، وعلى من بأثره اكتفى، إلى يوم الحشر والمنتهى، أَمَّا بعدُ:

فيا معشر المؤمنين! وإن من أسباب جلبِ البركة: كثرةُ طاعةِ الله ﷻ، والابتعاد عن معصيته -سبحانه وعزَّ-؛ ذلك أن المعصية تُورِثُ ظلمةً في القلب، وسَوادًا في الوَجهِ، وحَرَجًا في الرزق، وبُغْضًا في قلوب الخلقِ أجمعين.

وأمَّا طاعة الله ﷻ فإنَّها تُورِثُ نُورًا في القلب، ووضاءةً في الوجه، وتيسيرًا في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق أجمعين، نعم؛ إنها بركة الله ﷻ للمُطيعين. ومن أسباب البركةِ -يا أهل الإسلام- ما يتعلق بكثرة الدعاء، واللجوء إلى الله ﷻ، وكثرة الانتباه على عتباته، والتعرض لنفحاته -سبحانه وتعالى-، فإذا أكلت فاسأل الله البركة، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد ورد عنه بإسنادٍ لا بأس به: أنه كان إذا أراد أن يأكلَ، كان يقول: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، وقِنَا عَذابَ النَّارِ، وإذا دَخلَ الرجل على زوجته في ليلة عُرسه يسأل الله ﷻ أن تكون مُبَارَكَةً، وينبغي أيضًا أن يُكثرَ الإنسان من سؤال الله ﷻ البركة في كل أموره؛ في مسكنه، وفي زوجه، وفي أولادهما، وفي عمله، وفي سائر شؤونه وأحواله، يسأل الله ﷻ أن يبارك فيه مع بذل الأسباب؛ لأن البركة إذا توافرت شروطها، وانتفت موانعها؛ حلَّتْ بإذن الذي بيده البركة.

وأمَّا أن يدعوَ الإنسان بالبركة وهو مُقيمٌ على المعصية، ومدمنٌ لها؛ فمن أين تأتيه البركة؟ رجلٌ يرابي، ويغش، ويأكل الحرام، ويسأل الله البركة! هذا من أعجب العجبِ، إنَّ الحلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحرام بَيِّنٌ، وبينهما أمورٌ مُشتبهات، إنَّ الله طيبٌ لا يقبلُ إلَّا طيِّبًا، وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢]، واعلموا يا أهلَ الإسلام أنَّ البركة من الله ﷻ، وأن مسائلَ البركةِ راجعة إليه، وأنه لا يجوز للإنسان أن يستجلبَ بركة أو أن يدعي بركة في شخص لم يبارك الله ﷻ فيه، فالله ﷻ بيَّن بأن كتابه مُباركًا، والبركة في كتاب الله ليست بالتمسُّحِ بالقرآن، ولا تعليقه على الجدران، أو وضعه على الرفوف؛ البركة في القرآن باتِّباعه، وبتحليل حلاله وبتحريم حرامه، هذه هي البركة حينما تكون مُتَّبِعًا للقرآن، والعجب أن مِمَّن يقرأ القرآن أنَّ القرآن يلعنه، وأنَّ القرآن يتوعده، من الناس من يقرأ القرآن تَبرُّكًا وهذا القرآن يلعنه؛ لأنه مقيمٌ على الرِّبا، ولأنه زانٍ، ولأنه من شاربي الخمر، ولأنه من الذين يسعون في الأرض فسادًا، وهذا القرآن الذي يسعى إلى التبرك به هو الذي يلعنه ويتوعده -نسأل الله العافية والسلام-.

ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بركة، فرسالته بركة، وبدنه بركة، ولقد كان الصحابة يتبركون بذات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، يتبركون ببدنه، ويتبركون بشعره، ويتبركون بدمه -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-؛ أَمَا وقد مات فلا بركة هنا، ولا يجوز لأحدٍ أن يتبرك بأي ذاتٍ غير ذات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

أرأيتم أبا بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ إنه خير الأمة بعد محمدٍ -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-، أبو بكرٍ لو وضع إيمانه في كفةٍ، وإيمان الأمة بأثرها إلى يوم القيامة في كفة؛ لرجحَ إيمانُ أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ما طلعت شمسٌ ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين مثل أبي بكر، ومع ذلك ما ثبت أبدًا عن أحد من أصحاب

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان يتبرك بذات أبي بكر، ولا يتمسح ببدنه، ولا يأخذ قطعةً من ثيابه، أو شيئًا مما يفعله بعض الجهلة حينما يتبركون بأناسٍ دون ذلك -نعوذ بالله من هذا-.

والبركة أيضًا -أيها المؤمنون- بالعمل الصالح، حينما تعمل أعمالًا صالحة؛ لا سيما إذا كانت متعددة، فإن البركة فيها تعود إليك بانشراح صدرٍ، وطمأنينة قلبٍ، وراحة بالٍ، وسعة في الرزق وهناءٍ، وأهم ذلك القناعة، القناعة التي تُرِيكَ الأُمورَ على حقيقتها، القناعة التي تُرشد مسارك في هذه الحياة، القناعةُ التي تجعلك راضيًا عن ربك ﷻ، وإذا رأيت الإنسان مُستفزًّا، وإذا رأيت الإنسان دائمًا يلهث وراء هذه الدنيا، ويبدأ في التفريط بحقوق الله ﷻ؛ فاعلم علم اليقين أن الله ﷻ قد نزع عنه البركة -نسأل الله العافية والسلام-.